الوحدة الشعورية

٤/ ٥/ ١٤١٨هـ

إِنَّ الحَمْدَ لِله... أَمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

إِنَّ الوِحْدَةَ الشُّعورِيَّةَ بَينَ أَفْرادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْزَنَ الْمُسْلِمُ لِحُزْنِ أَخيهِ وَيفْرحَ لِفَرحِهِ ، وَيُشارِكَ إِخْوانَهُ الْمُسْلِمينَ شُعورَهُمْ، يَتَألَّمُ لأَلَمِهِم، وَيُؤَمِّلُ لأَمَلِهِمْ، فَهَذا الشُّعورُ وَالتَجانُسُ تَرجَمَةٌ عَمَلِيَةٌ لِذلكَ الوَصْفِ النَّبويِّ البَليغِ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**»[1] . أخرجَهُ الشَّيخَانِ عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَريِّ -رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنهُ.

وَكَذا قَولُهُ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[2]. فَتِلْكَ الأَوْصافُ النَبَويَّةُ لِمُجتَمَعِ الْمُسْلِمينَ جامِعَةٌ لِحَقيقَةِ التَكاتُفِ وَالتَرابُطِ .

فَالبُنْيانُ مُجْتَمَعٌ فِي الجُمْلةِ، وَيَزدادُ اجْتِماعُهُ إِذا كَانَ مُتَراصًّا، وَكَمالُ التَّراصِّ: أَنْ يَشُدَّ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَالجَسَدُ الْمُسْلِمُ كلٌ لاَ يَتجزأُ، يَتَألَمُ جَميعاً وَيَتنَعَّمُ جَميعاً، وَلِذا يَتميزُ أَفرادُ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ عَنْ جَميعِ الْمُجْتَمَعِات الأُخْرى بِقُوةِ تَرابُطِهِم وَتَكاتُفِهِم، فَلاَ طَبقيَّةَ وَلاَ قَومِيَّةَ، بَلْ أَواصِرَ الدِّينِ وَتَعالِيمَهُ. كَانَتْ تِلكَ المَعالِمُ جَليّةً وَاضِحَةً فِي مُجْتَمعِ الرَّعيلِ الأَوَّلِ، فَلَقَدْ صَوَّرَ أَصْحابُ النَّبي ﷺ أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي تَوحُدِ شُعورِهِم ألماً وأَملاً.

فَكَانوا خَيْرَ أَفْرادٍ لِخَيرِ مُجْتَمعٍ، يُؤثِرُ أَحَدهُمْ أَخَاهُ بِشَطرِ مَالِهِ، وَيُقاسِمُهُ بِيتَهُ، حَتَّى بَلَغَ الإِيثَارُ أَوجَهُ فِي عَرضِ بَعْضِهِم نُزولَهُ عَنْ امْرأَتِهِ، لِيتَزوَّجَهَا صَاحِبُهُ بَعدَ انْقضَاءِ عِدَّتِها.

بَلْ كَانَ غَائِبُهُم يُشارِكُ حَاضِرَهُم فِي شُعورِهِم ، يُصدِّقُ ذلِكَ قَوْلُ النَّبي ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَزوَةِ تَبوكَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ**» قَالُوا

---

(١) رواه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَة قَالَ «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[٣]، أخرَجهُ البُخاريُّ عَنْ أَنسِ بنِ مَالكٍ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنْهُ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمينَ:

وَالأَمْثِلةُ عَلَى هَذا المَبْدأِ كَثيرةٌ يَطولُ سَردُهَا، وَبِكُلِّ حَال: فَقَدْ كَانَ أَصْحابُ النَّبي ﷺ عَلَى قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَفَتحَ اُلله عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكاتِ السَّماءِ وَالأَرْضِ فَدانَتْ لَهُمْ أُمَمُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، أَعزَّهُمُ اُلله بَعدَ أَنْ كَانُوا أَذلَّـةً، فَرفَعَ شَأنَهُم وَأعْلَى قَدرَهُم.

وَسَارَ عَلَى هَذا المِنْوالِ أَصحَابُ القُرونِ المفَضَّلةِ فَكانُوا خَيرَ أَتباعٍ لِخَيرِ أصْحابٍ .

مَعَاشِرَ المُسْلِمينَ:

إِنَّ مُشارَكَةَ المُسْلِمينَ وَاسْتِشعَارَ مَا يحِلُّ بِهِم مِنَ المُصَابِ العَريضِ فِي شَتَّى أَنْحاءِ المَعْمُورةِ مِنْ حَقِّ الُمسْلمِ عَلَى أَخيهِ.

فَمَرضُ المُسْلمِ مَرضٌ لِلجَميعِ، وَفَقرُهُ فَقرٌ لِلجَميعِ، وَمَوتُهُ مَوتٌ لِلجَميعِ، كَالجَسَدِ الوَاحِدِ إِنْ اشْتَكى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى.

أَخْرَجَ الإِمامُ اللَّالكَائِي عَنْ أَيوبَ السِّخْتِيَانِي رَحِمهُ اُلله تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي أُخْبَرُ بِمَوتِ الرَّجُل مِنْ أَهْلِ السُّنَّة فَكَأَنِّي أَفْقِدُ بَعضَ أَعْضَائِي» وَأَخْرجَ عَنْ حَمَّاد بنُ زَيد رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى قَالَ: «كَانَ أَيوبُ يَبْلُغُهُ مَوتُ الفَتَى مِنْ أَصْحابِ الحديثِ فَـيُرى ذلِكَ فِيهِ».

مَعَاشِرَ المُسْلِمينَ:

الأَمْثِلَةُ عَلَى وِحدَةِ الشُّعورِ كَثيرةٌ، وَقَدْ ضَمَّتْ دَواوينُ التَّاريخِ وَكُتُبُ التَّراجِمِ بَينَ دَفَّتيهَا أَروعَ الأَمْثِلَةِ فِي تَصويرِ الوِحْدَةِ الشُّعوريَةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ أَجمَعَ، وَكَيفَ كَانَ المُجْتَمَعُ المُسْلِمُ بِجميعِ طَبَقاتِهِ يَتأَثَّرُ عِنْدَ ظُروفِ مُعيَّنَةٍ وَيَزدادُ تَفاعُلُ أَفرادِهِ وَتَأثُرهُمْ إِذا كَانَ الحَدَثُ يَمَسُّ الجَميعَ، وَالأَمْثِلَةُ عَلَى تِلْكَ القَضَايَا كَثيرَةٌ، وَنَكتَفِي بِإيرادِ مِثالٍ وَاحِدٍ لِلتقْريبِ فَيُقالُ: إِنَّ مِنْ تِلكَ القَضَايَا الَّتي تَهُزُّ كِيانَ المُجْتَمَعِ وَتَكونُ حَديثَ السَّاعَةِ فِي وَقتِهَا وَبَعدَ وَقتِهَا بِمُدةٍ :

---

(٣) رواه البخاري (٢٨٣٩).

قَضِيَّةُ مَوتِ العالِمِ، تِلْكَ المُصيبَةُ الَّتي تَقضُّ المَضَاجِعَ وَتُهيلُ المَدامِعَ. وَكَيفَ لاَ يَكُونُ الأَمْرُ كَذلِكَ وَمَوتُ العَالِمِ مَوتٌ لِخَيرٍ كَثيرٍ؟ فَحَياةُ العَالِمِ غَنيمَةٌ وَمَوتُهُ مُصيبَةٌ .

مَعَاشِرَ المُسْلِمينَ:

ومِنْ الشَّواهِدِ عَلَى مُصيبَةِ المُجْتَمَعِ في مَوتِ العَالِمِ مَا رَواهُ النَّقَلَةُ فِي وَصفِ جَنازَةِ الإمَامِ أَحْمدَ رَحِمهُ اُلله تَعَالَى، لَقَدْ تَأثَّرَ النَّاسُ عِنْدَ مَرَضهِ، وَزادَ تَأثُّرُهُم عِنْدَ خَبرِ مَوتِهِ رَحِمهُ اُلله تَعَالَى، لَقَدْ جَاءَ فِى تَرجَمَتهِ:

أَنَّهُ لَمَّا تَسامَعَ النَّاس بِمَرضِهِ دَخَلوا عَلَيْهِ أَفواجاً يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ فَكَثُرَ الجَمْعُ، ثَمَّ أُغْلقَ بَابُ الدَّربِ إِلَى بَيتِهِ فَكَانَ النَّاسُ فِي الشَّوارِعِ وَالمَساجِدِ حَتَّى تَعَطَّلَ البَّاعَةُ، فَلَمَّا تَرامَتِ الأَنْباءُ بِموتِهِ أَجهشَتِ الأَصْواتُ بِالبُكاءِ .

قَالَ الإمَامُ الذَهَبِيُّ رَحِمهُ اُلله تَعَالَى: فَصَاحَ النَّاسُ حَتَّى كَأَنَّ الدُّنْيَا قَد ارتَجَّتْ، وَامْتَلأتْ السِّكَكُ وَالشَّوارِعُ.

وَقدْ وَردَ فِي الأَخْبارِ أَنَّ تِلكَ الجَنَازَةَ كَانَتْ مِنْ أعَظَمِ جَنائِزِ الإسْلامِ فِي كَثرَةِ مَنْ حَضَرهَا وَشيَّعَها لَقَدْ تَزاحَمَتِ الجُموعُ الغَفيرةُ وَقُدِّرتِ الأَعْدادُ بِمئَاتِ الآلافِ مِنْ المُسْلِمينَ وَحَزِنَ الجَميعُ عَلَيْهِ، حَتَّى قَالَ، عَليٌّ بنُ حُريثٍ: «مَا مِنْ أَهْلِ بَيتٍ لَمْ يَدخُلْ عَليهِمْ الحُزْنُ يَومَ مَوتِ أَحمَدَ بنِ حَنْبلَ إلاَ بَيتَ سُوءٍ.

كَانَتْ تِلكَ المُصيبَةُ شَديدةَ الوَقعِ عَلَى المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ، وَذلِكَ لأَنَّ ذَهابَ العَالِمِ خَسارَةٌ عَلَى الجَميعِ، وَنَقصٌ وَاضِحٌ فِي شَأنِ البَلَدِ وَأَهْلِهِ، إِذْ إِنَّ العَالِمَ نُورٌ يُسْتضَاءُ بِعلمِهِ، وَقَبضُ العُلَماءِ نَذيرُ شَرٍّ، فَبِقَبضِهِم يَقِلُّ الْعِلمُ وَيظْهَرُ الجَهْلُ وَذلِكَ مِنَ المُصَابِ العَظيمِ الذي يَزيدُ ضَررهُ بِقَدرِ اسْتِشْرائِهِ فِي المُجْتَمَعِ .

فَنَسْألُ اَلله أَنْ يَحفَظَنَا بِحِفظِهِ، وَأَنْ يتَوَلاَّنَا بِرِعايَتِهِ، إِنَّهُ تَعَالَى سَميعٌ مُجيبٌ .

* * *

الخطبة الثانية

الحَمْدُ ِللهِ... الحَمْدُ ِللهِ حَمْداً كَثيراً طَيِّباً مُبارَكاً كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرضَى .

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

لَقَدْ كَلَّتِ الأَبْصارُ وَسَئِمَتِ الآذانُ مِمَّا يُقْرأُ وَيُسْمَعُ مِنْ مُصَابِ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَدِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَرْخصُ الدِّمَاءِ وَبِلادُهُم مُشَاعةٌ عِنْدَ أَعدائِهِم لِلنَّهْبِ وَالطَّرْدِ، مُسْلِمونَ يُقْتَلُونَ، وَمُسلِمونَ يُشَرَّدونَ، ومُسْلمُونَ يُضْطهَدونَ، وَهَلمَّ جَرّا، حَتَّى أَصْبَحتْ تِلكَ الأَخْبارُ أَمْراً مَألُوفاً يَسْتَصبِحُ بِهِ المَرْءُ كُلَّمَا اسْتفْتَحَ جَريدةً أَو مَجَلةً.

وَالعَجَبُ أَنَّ كَثيراً مِنْ الْمُسْلِمينَ لاَ يَعرِفُ عَنْ أَحوالِ إِخْوانِهِ أُولِئِكَ شَيئاً، وإِنْ عَلِمَ شَيئاً فَقَدْ يَكُونُ ذلِكَ مِنْ بَابِ الْمُصَادَفَةِ، كَأَنْ يَمُرَّ ذلِكَ عَرَضاً سَمَاعاً أَو قِراءَةً، وَكَانَ الأَوْلَى بِهِ أَنْ يَكونَ مُسْتَشعراً لِحَالِ إِخْوانِهِ فِي مِحْنَتِهِم .

فَلأولئِكَ الْمُسْلِمينَ حَقٌّ في أَنْ نُشَارِكَهُم مَشاعِرَهُم، وَلَهُمْ حَقٌّ فِى أَنْ نَبذُلَ مِنْ أَموالِنَا صَدَقَةً لَهُمْ، وَلَهُمْ حَقٌّ في أَنْ نَجْعَلَ لِقَضيَّتِهِم نَصيباً وَافِراً مِنْ طَرْحِنَا وَمَجالِسنَا، وَذلِكَ كُلُّهُ شَيءٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخيهِ الْمُسْلِمِ .

نَسألُ ا َلله أَنْ يُصْلِحَ أَحوالَ الْمُسْلِمينَ، وَأَنْ يَزيدَهُم تَرابُطاً وَتَكاتُفاً .

اللّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَالْمُسْلِمينَ، وَأَذِلَّ الشِّركَ وَالْمُشْرِكِينَ.

اللَّهُمَّ وَفقِ وُلاةَ أَمْرِنَا وَأُمورِ الْمُسْلِمينَ إِلَى مَا فِيهِ صَلاحُ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمينَ .

اللّهُمَّ احْفَظْ بِلادَنَا وبِلادَ الْمُسْلِمينَ مِنْ شَرِّ الأَشْرارِ وَمِنْ كَيدِ الفُجَّارِ.

دَعَونَاكَ رَبَّنَا فَأَجِبْنَا وَسَألنَاكَ خَالقَنَا فَآتنَا سُؤْلَنَا.

وَآخِرُ دَعْوانَا أَنِ الحَمْدُ ِللهِ رَبِّ العالَمينَ . .

* * *